# التغيير في البلدان العربية والاستقرار الإقليمي

أ. د. صالح عباس الطائي

**المقدمة**

بعد أكثر من نصف قرن على بدء مرحلة الاستقلال الوطني في البلدان العربية، انطلقت شرارة الثورة والتغيير في الشارع العربي في تونس، لتستعر النار في الهشيم، وينتفض الشارع المصري بعد عشرة ايام من رحيل الرئيس التونسي ... ثم تتوالى عمليات التغيير في البلدان العربية، لتأذن بعهد جديد من التحدي للدكتاتورية واستلاب الحقوق والحريات. إذ عجزت السلطات الحاكمة عن تحقيق التقدم لشعوبها، وتخليصها من دياجير التخلف وكبت الحريات، ولم تأبه بانتشالها من البؤس والحرمان؛ حتى اضحت البطالة العربية بين الشباب هي الأعلى في العالم، وبقي (٤٠%) من سكان البلدان العربية يعيشون تحت خط الفقر * .

واستناداً إلى ما تقدم، يهدف البحث إلى تلمس مسارات عملية التغيير في البلدان العربية، ومدى اسهامها في خلق بيئة اقليمية مستقرة. أما الاشكالية التي ينصرف البحث لحلها فتكمن في أن ثورات الربيع العربي لم تتوضح مساراتها لحد الآن، كما أنها لم تحدد الاشتراطات والآليات المناسبة لخلق بيئة اقليمية مستقرة. وتأسيساً على تلك الإشكالية ومحاولة حلها؛ تُثار أمامنا العديد من الاسئلة لعل من أبرزها :

. ما التغيير ؟ وما أبرز سماته ؟

. ما أهم اشتراطات وآليات التغيير اللازمة لخلق بيئة اقليمية مستقرة ؟

. ما أهم مخرجات التغيير في البلدان العربية ؟ وما أهم تأثيراتها في البيئة الاقليمية ؟

. ما هي الاحتمالات المستقبلية للتغيير في البلدان العربية ؟

أما الفرضية التي يحاول البحث اثباتها فمفادها : ((إن التغيير وفق اشتراطات وآليات محددة يؤدي إلى بيئة اقليمية مستقرة، وأن أي خلل في تلك العملية أو تدخل دولي يؤدي إلى العكس من ذلك)) .

وقد ارتكزت هيكلية البحث على أربع فقرات فضلاً عن مقدمة وخاتمة، الأولى : التغيير الماهية والاسباب، والثانية : اشتراطات وآليات التغيير في البلدان العربية، الثالثة : مخرجات التغيير والبيئة الاقليمية، والرابعة : الاحتمالات المستقبلية للتغيير .

**١. التغيير: الماهية والسمات**

التغيير في معناه العام تبدل الشيء وجعله مختلفاً عما كان عليه ويتضمن الاصلاح، كما يأتي باللغة على معنيين : الأول بمعنى احداث شيء لم يكن من قبل والثاني يعني انتقال الشيء من حالة إلى أخرى، فالأول يفيد التحويل والتبديل والثاني تغيير الحال بالانتقال من السيئ إلى الأحسن أو بالعكس .

والتغيير أمر حتمي وطبيعي وحقيقة تتجلى في دورة حياة المخلوقات وفي مقدمتها الإنسان .

والتَغَيَّر غير التغْيير، فالأول يصيب المجتمعات والدول والبيئة والمنظمات والمؤسسات فكل شيء قابل للتحول والتبدل ولا يوجد شيء ثابت أو مطلق عدا

(الله سبحانه) فهو الحقيقة المطلقة الوحيدة. أما الثاني (التغيير) فهو عملية ادخال تحسين أو تطوير على المؤسسة أو البلد أو النظام الدولي .

والتغيير أما أن يكون عفوي أو مخطط، والتغيير كاصطلاح هو التحول من حال إلى حال أما في النظام الدولي فهو التحول أو الانتقال أو التعديل من حال إلى أخرى [١] .

أما في القرآن الكريم فقد ورد في قوله تعالى ((إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (سورة الرعد الآية ١١) وقوله تعالى على لسان ابليس ((ولأمرنهم فليغيّرن خلق الله)) ((سورة النساء الآية ١١٩) وقوله تعالى ((ذلك بأن الله لم يكُ مغيّراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (سورة الانفال الآية ٥٣) .

وقد استخدم القرآن الكريم التغيير بمعنى التبدل نحو الاسوأ، كما استخدم القرآن الكريم اصطلاح التغيير في (٤٢) آية وردت عن الإصلاح للتعبير عن الانتقال نحو الأحسن منها ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)) (سورة الاعراف الآية ٨٥) و ((أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)) (سورة هود الآية ٨٨) .

إزاء ما تقدم، فأن التغيير لا يعد مجرد عملية اجرائية تتم في فراغ وفي معزل عن التكوين الاجتماعي. كما أنها عملية مستمرة هادفة، تبدأ من ادراك الغاية وتوفر الدافعية وتنتهي ببلوغ الهدف، فهي ليست شعاراً، بل هي عمل مثابر يستلزم حسن اختيار الأداة باستثمار التكنولوجيا وتوظيف البنى التحتية المدركة لإفاقه وينبغي ان يكون نابعاً من التراث دون أن يعني ذلك الانغلاق على تجارب الاخرين. كما ينبغي ان يتسق مع قيم واخلاقيات المجتمع وملبياً لاحتياجاته التنموية وعلى كافة الصعد الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الحضارية [٢] .

والتغيير في البلدان العربية، قيد البحث، لا يمكن تجزئته فما يحدث في البلدان العربية كما يقول المفكر التونسي (منصف المرزوقي) هو تغيير وليس تغيرات، وهو ثورة وليس ثورات لأنه :

**أ.** اسبابها واحدة تتلخص في تسلط فرد واجهزة بوليسية وخصخصة مؤسسات الدولة لخدمة افراد معدودين بدل خدمة الوطن والشعب .

**ب.** اهداف التغيير في كل البلدان العربية واحدة وهي (اسقاط النظام) واعادة بناء الانسان وبناء الدولة المدنية والمجتمع الحر وقطع دابر الفساد .

**ج.** الوسائل واحدة كلها سلمية (انتفاضات، مظاهرات، احتجاجات) على الرغم من مواجهتها برصاص اجهزة السلطة .

**د.** طبيعتها واحدة (شعبية، مدنية، شبابية، دون قيادة مركزية وبلا ايديولوجيا)[٣] .

والملاحظة الأساس التي ينبغي الإشارة إليها، إن التغيير لا يمكن أن يحقق أهدافه دوماً جلها أو كلها، فالبيئة التراثية والموضوعية التي يجري فيها التغيير قد تحرفه عن المسار المرسوم. فضلاً عن لكل ثورة أو تغيير ثورة مضادة، كما لكل ثورة ثمن باهض وبالنتيجة يتم الالتفاف على الثوريين أو القائمين بالتغيير انفسهم وهو ما عبر عنه تراث الثورة الفرنسية بشعار (الثورة تأكل ابنائها). كما أن القائمين بالتغيير أو الثورات لا يجنوا بالغالب ثمار الثورة. فجموع الفقراء يحصلون على حقوق سياسية لا تسمن ولا تغني من جوع فيما يجني الانتهازيون افضل ثمارها[٤] .

## ٢ـ اشتراطات وآليات التغيير في البلدان العربية

لنجاح عملية التغيير أو الإصلاح وبلوغ أهدافه لاسيما في عملية تحقيق الاستقرار الإقليمي، هنالك العديد من الاشتراطات والآليات التي ينبغي توافرها :

١) ترصين ثقافة الفرد والمجتمع في البلدان العربية بضرورة التغيير، لاسيما بعدما اصاب البلدان العربية من تحطيم اطرها الثقافية والاجتماعية والسياسية على ايدي المستعمرين في الماضي القريب، وما تعرضت وتتعرض له شعوبها من سياسات قمع وتشويه واستلاب على ايدي حكامها في مرحلة الاستقلال الوطني حتى وقتنا الراهن .

ولترصين تلك الثقافة في البلدان العربية يستدعي التركيز على دور المثقف للإدلاء بدلوه في عملية التغيير. فدور المثقف غالباً ما كان يوظف كغطاء ديمقراطي لسلوك السلطات الحاكمة ولا يترجم إلى فعل ملموس، فالإعلام الذي اعتمده الحكام اعلاماً مركزياً توجهه السلطة وبما يخدم مصالحها ومطامحها. وابعاد دور المثقف عن مساره الصحيح في ترصين وعي الجمهور من خلال الاعلام الجماهيري من جهة واقصاء المثقف نشاطات منظمات المجتمع المدني الذي ارتبط العديد منها أما بجهات أجنبية أو بالتعبير عن إرادة السلطات الحاكمة من جهة أخرى (٥) .

هذا في الوقت الذي بقي فيه الجمهور في البلدان العربية مطبوعاً بطابع التخلف الذي أسست له مراحل الاستعمار المباشر ورسخته السنوات العجاف في مرحلة الاستقلال الوطني التي ما انفكت تسهم في ترسيخ معطيات الشخصية السلبية وقولبة الثقافة بما يخدم بقاء الانظمة الحاكمة وفق سياسة (كم الافواه) ومصادرة حرية التعبير، واستخدام الاجهزة القمعية لإرهاب المواطن أو اجباره لتأييد السلطة. كما أن الاجهزة التعليمية التي تعد العمود الفقري في

البناء الثقافي للفرد والمجتمع لم تسهم في تطوير مدركات الفرد ومعارفه، كما أن التعليم الجامعي لم يسهم أيضاً في خلق الحراك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي أو يحد من دور قوى التخلف، ليحقق بالتالي تطوير الإنسان ودفع عملية التغيير إلى أمام [٦] .

وإزاء ما تقدم، ولترصين ثقافة الفرد والمجتمع ينبغي أن تتوسل البلدان العربية بالعلم وأن يكون ديدنها القرآن الكريم الذي ذكرّها بالعلم وبفضل العلماء (٧٦) مرة فيما عدا الاحاديث النبوية وخطب واحاديث الائمة الطاهرية. كما ينبغي اعتماد (الذات المنفتحة) على التراث والتجارب في الامم المتقدمة وتخلع رداء التشتت والاحتراب والتنابذ والكسل على الذات والتجارب في الامم المتقدمة. وبما يعزز حركة النهضة والتقدم إلى أمام .

٢) تفعيل دور الشباب العربي وتطوير اداء منظمات المجتمع المدني بما يتسق مع مطامح وتطلعات الجمهور في البلدان العربية على طريق التنمية والتقدم وحقوق الإنسان لاسيما في التعبير عن حرية الرأي وتوعية الشباب وتحصينهم عن الانغماس في رسائل واحابيل الدعاية الصهيونية والامبريالية التي تستهدف القيم الدينية والوطنية، وبما يؤول إلى إثارة النعرات الطائفية والعرقية وإشاعة القيم المادية والترويج للنزعة الاستهلاكية وعدم المبالاة [٧].فقد انفتحت إسرائيل على شباب أوربا وشباب المغرب العربي (أيام محمد الخامس) ، من خلال الشركات الصهيونية التي تجوب الاقليم وقد كان لمعسكر داود للشباب تحت شعار معسكر بلاد الشمس ابلغ الاثر في نفوس الشباب وبث القيم التي تسهم في ترسيخ وصواب مخططاتها [٨] .

٣) العمل على إنشاء منظمة شبابية غير حكومية على غرار الجامعة العربية التي اكل الدهر عليها وشرب، ويكون لها تمثيل في جميع البلدان العربية

لرصد سلوكيات السلطات الحاكمة وخروقات الحريات العامة. وعدم حصر مطالب الشباب بتحسين الاوضاع المعيشية والخدمات بل وتتعداها أيضاً إلى مراقبة ونقد السياسات الخارجية في البلدان العربية، ولاسيما العلاقة بين البلدان العربية وكلاً من امريكا وإسرائيل .

وتوعية الشباب بعدم الانجرار وراء مستغلي الثورات العربية من وعاظ سلاطين وطلاب عاقبة وانتهازيين ومن المتحالفين مع الولايات المتحدة والصهيونية العالمية [٩] الذين يوظفون ثورة الشباب العربي لخدمة مخططات التفتيت والتجزئة والتناحر وقولبتها في إطار الفوضى الخلاقة التي تخدم المخططات الامبريالية .

**٣. مخرجات التغيّر والبيئة الإقليمية**

لابد من الإشارة بدءاً إلى أن متغيرات البيئة الإقليمية لا يمكن الحديث عنها أو عزلها عن متغيرات البيئة الدولية، للتداخل بين تأثيرات البيئتين، لاسيما في ظل استراتيجية الهيمنة ومشروع الشرق الأوسط الكبير، وقورتي الاتصال والمعلومات ولعل ابرز الدول الفاعلة في البيئة الاقليمية للبلدان العربية : إسرائيل وتركيا وإيران. ولعل مخرجات التغيير في البلدان العربية لاسيما بعد أن تؤتي اكلها؛ من خلال تأسيس نظم سياسية ديمقراطية حديثة ومستقرة، قادرة على القيام بعمليات التنمية المستدامة والتقدم، والتي يعيش فيها المواطن وينعم بأثير من الحرية، ويتعافى النسيج الاجتماعي من مواطن الزلل والتناحر، سيجعل كل ذلك البلدان العربية قوية مهابة في الوسط الاقليمي والدولي [١٠]. ولا ريب أن كل ذلك سيرمي بضلاله على حركة القوى الإقليمية وعلاقتها بالبلدان العربية .

ففيما يخص إسرائيل فإنها نجد أن ((الربيع العربي سينشئ بيئة شرق أوسط اصعب واعقد على امريكا وإسرائيل)) وسيدب الخوف على مثير اتفاقيات السلام مع مصر والاردن. وتضطرب الامور في سيناء، ويجعل الحدود الطويلة مع البلدان العربية مركز احتكاك امني خطير [١١]. وكل ذلك سيدفع اسرائيل كما نرى إلى تفعيل ((عقيدة العرب))، أي عقيدة الارتكاز على قوى عظمى. إذ استخدمت الصهيونية تلك العقيدة ابان الثورة الفرنسية، وجعلت من فرنسا عراباً لها حتى حادثة القائد الفرنسي اليهودي (دريفوس) الذي اعطى اسرار سلاح المدفعين الفرنسيين إلى ألمانيا، وهاج الشارع الفرنسي وهتف بسقوط الصهيونية والموت للجاسوس دريفوس. وبعدها اتخذت من بريطانيا عراباً لها حتى الحرب العالمية الثانية، وعندما آفل نجم بريطانيا، اتخذت من الولايات المتحدة وحتى يومنا هذا عراباً لها [١٢] فالتغير بالبلدان العربية سيحد من السمة الصقرية للصهيونية ويدفعها للتمسك اكثر بتلابيب تلك السياسة .

أما تركيا التي لا يزال يراودها أمل الحصول على عضوية الاتحاد الاوروبي، إلا أن مجيء حزب العدالة والتنمية عام ٢٠٠٢ قد اضعف كثيراً من ارتباط تركيا بإسرائيل، بعد أن وصلت ذروتها في عام ١٩٩٦ بتوقيع الاتفاقيات الخمس للتعاون الاقتصادي والعسكري .

هذا فضلاً عن ما آلت إليه أحداث العدوان الإسرائيلي على سفينة المساعدات التركية عام ٢٠١١. وعلى الرغم من ذلك ظلت صورة تركيا (مشرقة) في الإدراك الأمريكي، كونها تمثل ما يسمى بـ (الإسلام المعتدل)، إذ ستكون مركز جذب وتنافس للقيادات الإسلامية (الاخوان المسلمين)، التي يمكن أن تصل إلى سدة الحكم في الاقطار العربية. إذ ستنوء تلك القيادات بمهمات جسام من أجل التغيير، وستحظى بمباركة اميركية لسببين؛ الأول عدم قدرة تلك القيادات

للاضطلاع بتلك المهمات، وهو ما يعزز هدفها في اقناع العرب قبل غيرهم بفشل الإسلام السياسي وافراغه من محتواه، لتمهيد الطريق فيما بعد لتحقيق مشروعها (الشرق الاوسط الجديد).

أما الثاني الذي يحظى بالمباركة الامريكية من صعود الاخوان المسلمين فيكمن في محاصرة إيران وعرقلة قيام ما يسميه البعض (الهلال الشيعي) الذي يقضي مضاجع حليفتها إسرائيل. فضلاً عن ابعاد إيران عن دعم الحركات الشعبية العربية وعرقلة هدفها في إقامة (الشرق الاوسط الإسلامي). وهو ما صرح به المرشد للثورة الإسلامية (علي خامنئي) ووزير خارجيته (عماد مرسومي) [١٣] .

وإزاء كل ذلك محاولة الولايات المتحدة الحد من مطامح إيران، التي بدأ حصارها يقترب من النخاع، وعرقلة توجهاتها صوب الخليج العربي وكل ذلك ليس حباً في السعودية أو دول الخليج العربي الأخرى، بل لما تمثله تلك الدول من احتياطي استراتيجي يضمن الهيمنة الامريكية، وهو ما أكده الكاتب الإيراني (شهرام شوبين) : إن نهج إيران مواجهة الهيمنة الامريكية ومواجهة النظام الذي ترعاه في الخليج وهو لا يعني سلاسة قيادة إيران لدول المنطقة لأن الربيع العربي جعل الانظمة الجديدة ترفض التدخلات الخارجية [١٤]. ولأجل كل ذلك سعت الولايات المتحدة إلى وضع المزيد من العراقيل أمام إيران للحد من نفوذها بعد الربيع العربي، لعل من أبرزها تشديد العقوبات الدولية فضلاً عن انخفاض الطاقة الإنتاجية وتراجع كبير في اسعار النفط ودفع دول مجلس التعاون الخليجي إلى مواجهة إيران أن لزم الأمر [١٥] .

واتساقاً مع كل ما تقدم لا يمكن فصل البيئة الاقليمية عن النظام السياسي الدولي، على الرغم من السياسة الناعمة في تقديم الدبلوماسية على الحرب في عهد اوباما المتجدد لولاية ثانية. ومقدمات عملية المشاركة التي بدأت مع

الاتحاد الأوروبي في ليبيا، ومحاولات الصين للخروج من الدور الإقليمي إلى الدور العالمي بفضل ما توفره من فائض اقتصادي [١٦]، ولأجله لابد لطلائع التغيير في البلدان العربية أن تضع بالحسبان تلك المدخلات في تحقيق الاستقرار الإقليمي في ظل افرازات مشروع الشرق الاوسط الجديد والدورين التركي والإيراني، وما تتبأ به (شلوموم بروم) بالمراهنة على ازدياد أهمية تركيا الاقليمية مقابل أهمية إيران وطموحاتها الاقليمية من جهة. وازدياد حدة التوجه السعودي والخليجي المعادي لإيران [١٧] .

**٤. الاحتمالات المستقبلية للتغيير**

إن استقراء تجارب التغيّر والإصلاح في بعض الاقطار العربية، توحي ببعض الاحتمالات المستقبلية على الرغم من عدم اكتمال تلك التجارب وما ستأول إليه نتائجها في المستقبل البعيد، فمن خلال نظرة فاحصة للمستقبل المنظور تعتقد ان هناك ثلاثة احتمالات [١٨] .

**الاحتمال الأول :** إن نجاح تلك التجارب في إرساء دعائم نظم ديمقراطية ستخلص المواطن العربي من عذابات الماضي وتحقق السلام والحرية، كما تحقق وترصن النسيج الاجتماعي وتجعله مترابطاً بما يؤول إلى نظام سياسي فاعل ومؤثر. فالتغيَّر والإصلاح يضمن إقامة :

أ. انسجام اجتماعي بين أطياف المجتمع في كل بلد في إطار الحرية والمسؤولية الاجتماعية. ويزيل التوترات والاحتقانات التي تضر بأمن ووحدة الوطن .

**ب.** قيام مؤسسات حقيقية وفاعلة، مثل المؤسسات السياسية والقانونية، التي تعمد إلى إدارة المجتمع وفق صغ قانونية تضمن العدالة والمساواة بعيداً عن تحّكم المتسلطين .

**ج.** مشاركة سياسية لتداول السلطة وفق الصيغ الديمقراطية. وتقف حائلاً ضد الديكتاتورية .

وإن كل ذلك يجعل الحراك الاجتماعي يتفاعل بثبات صوب التآزر والتكاتف بين اطياف النسيج الاجتماعي في كل بلد، ويؤسس لبرامج تنمية مستدامة تحقق خير المجتمع وسعادته. وتأخذ بيده إلى مصاف الدول المتقدمة وستنعم جماهير كل بلد بأثير الحريةوالعدالة[١٩].

كما أن انجاز تلك الاجراءات (الانسجام الاجتماعي، المؤسسات الديمقراطية، المشاركة السياسية) سيجعل من شعوب البلدان العربية المجموعة الثالثة بعد (الهند) و (الصين) [٢٠]. وبالتالي ستشكل مارداً مهاباً بين الدول والتكتلات. فعلى المستوى الاقليمي ستسهم مشروعات الاصلاح والتغييّر السياسي في إقامة امتن الوشائج بين البلدان العربية، وتكون متسقة مع روح الحداثة والديمقراطية والمدنية، فضلاً عن احترام حقوق الانسان، إذ ستحاول تركيا (العلمانية ذات النهج الديمقراطي) أن تقيم علاقات ودية مع ذلك المارد (البلدان العربية) وستلتزم جدياً بمبدأها الاستراتيجي (تصفير المشاكل) معه [٢١] . أما إيران فبسبب اعتمادها النظام الديمقراطي والإسلام منهجاً فستأزر هذا (المارد) وتقيم افضل العلاقات معه .

وعلى صعيد أخر، فأن ذلك المارد المهاب (البلدان العربية الديمقراطية) سيحد من السياسات العدوانية الإسرائيلية. إذ ستعمد إسرائيل إلى تجميد مشروعها

(إسرائيل الكبرى)، كما أن المشروع الامريكي الاسرائيلي (مشروع الشرق الاوسط الكبير) فستواجه عقبات جدية وكبيرة فبدلاً عن بلدان مجزأة وكانتونات، ستتحول البلدان العربية التي تنعم بالديمقراطية والطاقة والاستقرار الإقليمي، إلى عائق كبير أمام المشروع الشرق أوسطي وستجري متغيرات كبيرة على المشروع الذي سوف لا تتسنم فيه إسرائيل دور القيادة في الشرق الأوسط بوجود ذلك (المارد) .

إذ ستتراجع مكانة إسرائيل في الشرق الأوسط، وتضطر إلى تفعيل عقيدتها القديمة (عقيدة النواب) التي سبقت الإشارة إليها بالاعتماد بشكل متزايد على قوة عظمى (الولايات المتحدة والغرب)[٢٢] .

**الاحتمال الثاني :** وهو احتمال التفتيت، فالثورات العربية مرشحة للدخول في فوضى شاملة، يعلو فيها صوت المطالب الفئوية، وتغلب فيها المصالح والمطامع الطائفية والقبلية على المطالب الوطنية في كل بلد .

إذ ستسعى البلدان العربية إلى تشكيل انظمة ديمقراطية شكلية بعيداً عن تطبيق القيم الديمقراطية الحقيقية. فالاندفاع العفوي للجماهير المطبوعة بالتخلف. أو كما يسميها فلاسفة الاغريق القدامى اندفاع (الرعاع) أو (الرهماء) سيفتح الباب على مصراعيه أمام تفتيت البلدان العربية إلى دويلات صغيرة على أسس مذهبية وطائفية في ظل غياب القوى القادرة على المحافظة على التماسك الاجتماعي لكل بلد .

ومن خلال تلك الفوضى التي تمر بها عمليات التغيير بالبلدان العربية؛ ستنتعش المخططات الصهيونية والامبريالية، ويشتد التعاون الاسرائيلي الامريكي صوب تفتيت البلدان العربية، وتحويلها إلى كانتونات وشراء الذمم، لاسيما مع الاقليات والفئات الأكثر تطلعاً لاغتنام المكاسب الخاصة على

حسب مصالح بلدانها [٢٣] ومن المدخلات التي تعزز هذا الاتجاه، عدم وجود ايديولوجيا وقيادة منظمة للتغير في البلدان العربية .

الاحتمال الثالث : احتمال الديمقراطيات غير المكتملة، فجميع الثورات بالبلدان العربية ترنو إلى الديمقراطية، وتحلم بتأسيس مؤسسات ديمقراطية تحقق العدالة والحرية والمساواة [٢٤]. إلا إن الواقع الموضوعي في البلدان العربية جراء التخلف وعهود الظلم والاستبداد، لم يهيئ تماماً وبشكل راسخ عمليات التحول الديمقراطي. ومن الممكن أن يتجه الجمهور نحو تشكيل مؤسسات ديمقراطية وصيغ ديمقراطية بالتعامل، وربما يحدد أطر تداوله السلطة بشكل سلمي، إلا إن الواقع يؤشر مقابل ذلك أن الشعوب العربية لم تألف الديمقراطية كسياقات عمل حقيقية. ففشل المشروع الديمقراطي يعود إلى أن التطبيقات الديمقراطية لا يمكن أن تنجح بسبب الرغبة فقط في تحقيقها لاسيما في مجتمعات لم تألف الممارسات الديمقراطية سواءً في التعامل اليومي أو في التعامل مع (الأخر) وتفتقر إلى الثقافة والممارسات الديمقراطية .

ومن هنا سترمي القوى الفاعلة في النظام السياسي الدولي ثقلها لاسيما اميركا والاتحاد الاوروبي في العثور على نظم بديلة للنظم السياسية العربية المنهارة، والنظم البديلة ستلتزم مقابل الدعم الغربي لها بمصالح الغرب الاستراتيجية في هذه المنطقة الحساسة من العالم .

والنظم البديلة سوف لن تحدث تغييرات جوهرية في سياستها الخارجية على نحو يمس أمن إسرائيل، مقابل حصولها على مزايا تشبع مطالب الفئات الاجتماعية التي تمثلها. وستهمل مجدداً مصالح الشعوب التي جرى التغيّر من أجلها. وستعود عجلة التاريخ إلى وراء إذ سيحتكر المنتخبون السلطة وينحرفون عن الخط الديمقراطي. ويتم تزييف العملية الديمقراطية وستكون العلاقة مع

الشعب سلبية ومع الجيران الاقليميين تركيا وإيران سلبية وستكون أكثر إيجابية مع إسرائيل وأميركا .

**الخاتمـــة:**

نخلص من كل ما تقدم، أن التغيير قد يكون عفوياً أو مخططاً ويعني التحول من حال لأخر، إلا أنه لا يعني الإصلاح دائماً. كما أنه لا يجري في فراغ أو بمعزل عن التكوين الاجتماعي. إذ يبدأ بإدراك الغاية ثم توفر الدافعية وينتهي ببلوغ الهدف. وأن البيئتين الذاتية والموضوعية قد تحرفه عن المسار المرسوم له. وأن من أهم اشتراطات التغيير في البلدان العربية هي : ترصين ثقافة الفرد والمجتمع وللمثقف قصب السبق في تلك العملية. هذا فضلاً عن تفعيل دور الشباب العربي وتطوير اداء منظمات المجتمع المدني بما ينسجم وطموحات الجمهور العربي. إضافة إلى العمل على إنشاء منظمة شبابية غير حكومية على غرار الجامعة العربية لرصد سلوكيات السلطات الحاكمة ونقد السياسات الخارجية للبلدان العربية .

وإزاء ما تقدم، لاحظنا أن تأثير مخرجات التغيير في البيئة الاقليمية لا يمكن تلمسها إلا من خلال عملية التداخل بين البيئتين الاقليمية والدولية بسبب استراتيجية الهيمنة الامريكية، ومشروع الشرق الاوسط الكبير وتأثيرات ثورتي الاتصال والمعلومات. ووجدنا أن تأثير التغيير بالبلدان العربية خلق بيئة (شرق أوسط) أصعب واعقد على أميركا وإسرائيل. كما أن ذلك التغيير جعل من تركيا مركز جذب للقيادات الاسلامية على حساب إيران. فضلاً عن السعي الامريكي للحد من نفوذ إيران ومصادرها ودفع دول مجلس التعاون الخليجي للحد من توجهاتها الاقليمية .

أما أهم الاحتمالات للتغييّر في البلدان العربية في المستقبل المنظور فوجدناها تتلخص في ثلاث :

. نجاح عمليات التغيير في البلدان العربية في إرساء دعائم نظم ديمقراطية ترصن النسيج الاجتماعي وتحقق الاستقرار الاقليمي. وتشكل عقبة أمام مشروع الشرق الاوسط الكبير.

. احتمال التفتيت والفوضى وتجويل البلدان العربية إلى كانتونات .

. احتمال الديمقراطيات غير المكتملة وفشل المشروع الديمقراطي، ليفتح الباب على مصراعيه لتدخل القوى الفاعلة في الساحة الدولية، وتكون العلاقة سلبية مع الجيران الإقليميين وإيجابية مع الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل .

**الهوامش**

*فحسب تقرير منظمة العمل الدولية بلغ عدد العاطلين في البلدان العربية عام ٢٠١٠ (٢٥) مليون عاطل منهم (٦٠%) دون سن (٢٥) سنة مما يجعل البطالة العربية بين الشباب هي الاعلى في العالم . نقلاً عن : د. داليا فؤاد، الشعوب والثورات العربية : محاولات الاحتواء والتأثير، مجلة حمورابي للدراسات، العدد الاول، السنة الاولى، كانون الاول ٢٠١١، ص٩٠ .

١) د. وائل محمد إسماعيل، التغيير في النظام الدولي، ط١، (بغداد، مكتبة السنهوري، ٢٠١٢)، ص٢٠ . ٢٣ .

٢) يقارن مع : عبد السلام إبراهيم بغدادي، النظم السياسية العربية وتحديات التغيير والاصلاح السياسي، ط١، (دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١١)، ص١٦ . ٢٩ .

٣) أنظر وقارن مع : منصف المرزوقي، الافاق المرعية والمذهلة للثورة العربية، في توفيق المديني : الربيع العربي ... إلى أين ؟ أفق جديد للتغيير الديمقراطي، ط١، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١)، ص٦٣ . ٦٤ .

٤) يقارن مع ما يذهب إليه المصدر السابق، ص٢٦٥ . ٢٦٦ .

٥) يقارن مع ما يذهب إليه : د. عبد السلام إبراهيم بغدادي، مصدر سبق ذكره، ص٣٩ . ٤٢.

ويقارن مع : د. محمد عابد الجابري، استئناف النظر في مفهوم التنمية والخصوصية، مجلة الرياض، العدد (١٤٣٠)، في ١٨ . ١٤ تموز ٢٠٠٧، ص١٠ .

٦) عن دور الشباب ينظر : د. صالح عباس الطائي، نحو سياسة وطنية للإعلام، الراصد العراقي، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٩، ص٣٧ . ٤٣ .

٧) ينظر : د. صالح عباس الطائي، الاعلام والمواطنة، قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العددان (١٩ . ٢٠)، ص١٥٣ وما بعدها .

٨) ينظر : د. صالح عباس الطائي، الاستمالة في الاعلام الصهيوني، مجلة قضايا سياسية، بغداد، المجلد الأول، العدد الأول، شوال ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ، ص١٠٨ . ١٠٩ .

٩) ينظر : د. جواد كاظم البكري، الثورات الشعبية العربية ... استحقاقات الحرية والتغيير، مجلة حمورابي للدراسات، العدد الاول، السنة الاولى، كانون الاول / ديسمبر ٢٠١١، ص١٩٧ . ١٩٨ .

١٠) ينظر : د. حسن نافعة، الربيع العربي إلى أين ؟ ، صحيفة صوت اليسار العراقي، ٢٠٠٩ .

١١) شلوموم بروم، في تقرير صهيوني حول تأثيرات الربيع العربي على الوضع الاقليمي، فلسطين اليوم، في ٧ / ١١ / ٢٠١٢ .

١٢) د. صالح عباس الطائي، الاعلام والسياسة الخارجية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص١٢٤ .

١٣) ينظر ويقارن مع : د. عماد جاسم المرسومي، أثر المتغيرات السياسية في المنطقة العربية في السياسات الاقليمية وانعكاساتها على العراق، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالى، العدد الاول، ٢٠١٢، ص٢٥١ . ٢٥٣ .

١٤) شهرام شوبين، توازنات جديدة : هل تراجع النفوذ الاقليمي لإيران بعد الربيع العربي، على الموقع :

١٥) نفس المصدر .

١٦) ينظر : د. وائل محمد إسماعيل، رقعة الشطرنج الشرق أوسطية، ط١، (دار الرواد المزدهرة، بغداد، ٢٠١١)، ص١٦٩ وما بعدها .
وكذلك : د. وائل محمد إسماعيل، التغيير في النظام الدولي، مصدر سبق ذكره، ث١٨٦ وما بعدها .

١٧) ينظر شلوموم بروم، مصدر سبق ذكره .

١٨) عن الاحتمالات الثلاثة، ينظر ويقارن مع : د. حسن نافعة، مصدر سبق ذكره .

١٩) ينظر : منصف المرزوقي، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٧ .

٢٠) نفس المصدر، ص٢٦٩ .

٢١) ينظر ويقارن مع : احمد داوود اوغلو، العمق الاستراتيجي، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، (الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٠)، ص١٠٩ وما بعدها .

٢٢) وهذا ما أكده شلوموم بروم، (كبير الباحثين في جامعة تل ابيب)، بقوله ((إن الربيع العربي ينشئ بيئة اصعب واعقد على الولايات المتحدة واسرائيل كما كانت من قبل وانهما الخاسران الرئيسيان فيه وتفقدان املاكاً كبيرة في البلدان العربية، فضلاً عن الخوف على مصير اتفاقات السلام مع مصر والاردن)). شلوموم بروم، مصدر سبق ذكره .

٢٣) ينظر ويقارن مع : داليا فؤاد، الغرب والثورات العربية، محاولات الاحتواء والتأثير، مجلة حمورابي للدراسات، العدد الاول، السنة الاولى، كانون الاول . ديسمبر ٢٠١١، ص٩٤ . ٩٨ .

٢٤) قارن مع وانظر : د. حسن نافعة، مصدر سبق ذكره .